

الصَّدْقُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ٤ شَعْبَانَ ١٤٤٤ هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الصَّدْقَ خُلِقَ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ سِمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، بِهِ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾، وَأَتَى سُبْحَانَهُ بِالصَّدْقِ عَلَى إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾، أَمَّا نَبِينَا ﷺ فَقَدْ لُقِّبَ بِالصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ، وَالصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ حَتَّى أَعْدَاؤُهُ، فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُتُمُ مَصْدِقِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾. وَكُلُّ مَنْ خَالَطَهُ ﷺ رَأَى مِنْهُ الصَّدْقَ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، ... ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيُّ خَدِيجَةَ، مَا لِي؟»، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ...».

عِبَادَ اللَّهِ: لِلصَّدْقِ فَضَائِلٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: يَكْفِي الصَّدْقَ شَرَفًا وَفَضْلًا أَنْ دَرَجَةَ الصَّادِقِينَ جَاءَتْ بَعْدَ دَرَجَةِ النَّبِيِّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

الثَّانِي: الصَّدْقُ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١﴾.

الثَّالِثُ: الصَّدَقُ سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصَّدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا...» الْحَدِيثُ.

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَنَهَاجِ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذَا فِيهِ حَتٌّْ عَلَى تَحَرِّيِ الصَّدَقِ، وَهُوَ قَصْدُهُ، وَالْإِعْتِنَاءُ بِهِ، وَعَلَى التَّحْذِيرِ مِنَ الْكُذْبِ وَالتَّسَاهُلِ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا تَسَاهَلَ فِيهِ كَثُرَ مِنْهُ، فَعَرِفَ بِهِ، وَكَتَبَهُ اللَّهُ لِمُبَالِغَتِهِ صِدْقًا إِنْ اعْتَادَهُ، أَوْ كَذَابًا إِنْ اعْتَادَهُ».

الرَّابِعُ: أَعَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلصَّادِقِينَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الخَامِسُ: الصَّدَقُ يُنْجِي صَاحِبَهُ مِنَ الْمَضَاقِقِ وَالْمَهَالِكِ. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَمَا تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيْتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ:

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

السَّادِسُ: الصَّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ لِلْقَلْبِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ عَلَّامَةُ مِصْرَ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ؛ فَإِنَّ الصَّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيْبَةٌ».

السَّابِعُ: الصَّدْقُ فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ سَبَبٌ فِي الْبَرَكَةِ فِي الْأَرْزَاقِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةٌ بَيْعِهِمَا».

الثَّامِنُ: بُلُوغُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى بِالصَّدْقِ، وَإِنْ لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنَ الْعَمَلِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ».

التَّاسِعُ: الصَّادِقُ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ. أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هُنَاكَ أَسْبَابٌ تُعِينُ عَلَى الصَّدْقِ، مِنْهَا:

الأوَّلُ: مُرَاقَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى. عِنْدَمَا يَسْتَحْضِرُ أَنَّ كَلِمَاتِهِ وَخَطَرَاتِهِ، وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ كُلُّهَا مَخْصِيَةٌ مَكْتُوبَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾، فَإِنَّ ذَلِكَ يَقُودُهُ إِلَى رِيَاضِ الصَّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ.

الثاني: الحياءُ. فالحياءُ يحجبُ صاحبه عن كلِّ ما هو مُستقبَح شرعاً وعرفاً وذوقاً، والمرءُ يستحيي أن يُعرفَ بينَ الناسِ أنه كذابٌ، وهذا هو الذي حملَ أبا سفيانَ - وهو يومئذٍ مُشركٌ - أن يصدقَ هرقلَ وهو يسأله عن النبي ﷺ. قال أبو سفيانَ: «لولا الحياءُ من أن يَأثروا عليَّ كذباً لكذبتُ عنه». قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح»: فيه دليلٌ على أَنَّهُم كانوا يَسْتَقْبِحُونَ الكَذِبَ، إمَّا بالأخذِ عنِ الشَّرْعِ السَّابِقِ، أو بِالْعُرْفِ.

الثالثُ: صُحْبَةُ الصَّادِقِينَ. فقد أَمَرَ اللهُ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا مَعَ أَهْلِ الصِّدْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

الرَّابِعُ: التَّرْبِيَةُ عَلَى الصِّدْقِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَحَسَنَةُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟» قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ».

الخامسُ: الدُّعَاءُ. لَمَّا كَانَ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الصِّدْقِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهَا شَاقًّا عَلَيْهَا، وَلَا يُمَكِّنُ لِعَبْدٍ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا بِإِعَانَةِ اللَّهِ لَهُ، وَتَوْفِيقِهِ إِلَيْهِ، أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُ الصِّدْقَ فِي الْمُخْرَجِ وَالْمُدْخَلِ، فَقَالَ ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾.

السادسُ: مَعْرِفَةُ وَعِيدِ اللَّهِ لِلْكَذَّابِينَ، وَعَذَابِهِ لِلْمُفْتَرِينَ. فَقَدْ جَاءَتِ النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تُحَدِّثُ مِنَ الْكَذِبِ، وَتُبَيِّنُ سُوءَ عَاقِبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ تَذْكَيرَ النَّفْسِ بِهَا مِمَّا يُعِينُ الْمَرْءَ عَلَى الصِّدْقِ فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا.